

الحِمَارُ يُقَلِّدُ وَسَامًا

يُحْكِي أَنَّ رَجُلًا أَحَبَّ حِمَارَهُ الْفَارِةَ^١ حُبًّا جَمًّا؛ لِأَنَّهُ كَانَ فِي نَظَرِهِ دُرَّةً يَتِيمَةً، قَلَّ أَنْ يَجُودَ بِمِثْلِهَا الزَّمَانُ.

وَلَكِنِّي يَطْمِئِنُّ عَلَيْهِ مِنَ الضِّيَاعِ، عَلَّقَ فِي عُنُقِهِ جَرَسًا صَغِيرًا جَمِيلًا، لَهُ جَلْجَلَةٌ بَعِيدَةٌ الْمَدَى.

وَلَوَّلَ وَهَلَّةٍ طَارَ الْحِمَارُ فَرَحَانٍ بِوَسَامِهِ الرَّنَّانِ، فَصَارَ يَتَخَطَّرُ وَيَتَمَيِّسُ فِي مَشْيِيهِ، وَكُلَّمَا رَنَّ صَوْتُ الْجَرَسِ فِي أُذُنَيْهِ زُهِىَ بِهِ، وَازْدَادَ تَيْهًا وَعُجْبًا وَدَلَالًا، حَتَّى خِيلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ سُلْطَانُ زَمَانِهِ.

وَهُنَاكَ مَسْأَلَةٌ يَجِبُ أَنْ نُقَرِّرَهَا، عَلَى رَغْمِ مَا فِيهَا مِمَّا كَانَ يَصِحُّ أَنْ يَبْقَى فِي طَيِّ الْكِتْمَانِ؛ وَهِيَ أَنَّ صَاحِبَنَا كَانَ قَدْ اعْتَادَ أَنْ يَسْمَحَ لِنَفْسِهِ، مِنْ وَقْتٍ إِلَى آخَرٍ، كُلَّمَا نَقَتْ صَفَادُ بَطْنِهِ^٢ أَنْ يَنْزِلِقَ فِي حَدَائِقِ أَوْ حُقُولِ الْجِيرَانِ، مِنْ فَتْحَةٍ فِي السُّورِ أَوْ فُرْجَةٍ فِي السِّيَاحِ؛ لِيَقْرَظِمَ مَا يَصِلُ إِلَيْهِ فَمُهُ مِنْ نَبَاتِ الْقَمْحِ أَوْ الشَّعِيرِ أَوْ الشُّوفَانِ، أَوْ مَا تَقَرُّ عَيْنُهُ بِرُؤْيَيْهِ مِنَ الْخَضِرَاوَاتِ الْغَضَّةِ النَّضِيرَةِ كَالْخَسِّ وَالْكَرْنَبِ أَوْ قَرَّةِ الْعَيْنِ^٣، وَكَانَ يَحْدُثُ ذَلِكَ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ أَحَدٌ بِدُخُولِهِ أَوْ خُرُوجِهِ، أَمَّا الْآنَ فَإِنَّ الْحَالَ قَدْ تَبَدَّلَتْ، وَأَضْحَى سِتْرُهُ مَفْضُوحًا بِذَلِكَ الْوَسَامِ، فَكَانَ كُلَّمَا حَاوَلَ أَنْ يَنْسَلَّ كَعَادَتِهِ الْقَدِيمَةِ؛ لِيُشْبِعَ شَهْيَتَهُ مِنْ

^١ النشيط الخفيف الحسن المنظر.

^٢ أي: شعر بالجوع.

^٣ أَوْ قُرَّة، وهو اسم نبات ينمو في مجاري المياه يشبه الجرجير.

حُقُولِ الْجِرَانِ تَنَبَّهَ أَصْحَابُهَا مِنْ جَرَسِ ءِ وَسَامِهِ إِلَى وُجُودِهِ، وَحَالُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَغْبَتِهِ
بِعَصِيَّتِهِمُ الْغَلِيظَةِ، حَتَّى يَعُودَ أَذْرَاجُهُ بَعْدَ أَنْ يُشْبِعُوهُ ضَرْبًا مُبْرَحًا، يَتْرُكُ كُلَّ مَرَّةٍ حَبَارَهُ
الْمُؤْلَمَ بِجِلْدِهِ.

وَهَكَذَا لَمْ يَنْقُضِ الصَّيْفُ عَلَى حَامِلِ الْوَسَامِ هَذَا حَتَّى صَارَ عَلَى الْجِلْدِ وَالْعَظْمِ لَا
يُخْشَى عَلَيْهِ مِنْ عَيْنِ الْحَسُودِ أَوْ سَطْوِ اللَّصُوصِ إِذَا جُرَّدَ عُنُقُهُ مِنَ الْقِلَادَةِ الرَّنَّانَةِ.
«اللَّصُّ لَا يَسْرِقُ نَاقُوسًا».

ءِ الْجَرَسُ أَوْ الْجَرَسُ: الصوتُ أَوِ الرنين.